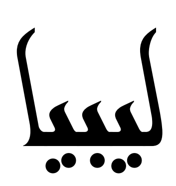


هذا الاسم في جذوره التاريخية

تأليف: محمد مصطفى بازامة
أعده للنشر: تامغناست



مؤسسة تاوالت الثقافية



هذا الاسم في جذوره التاريخية

تأليف: محمد مصطفى بازامة

أعده للنشر: تامغناست



مقدمة هذه الطبعة

منذ ما يقرب من عشر سنوات، نشر هذا البحث عن اسم "ليبيا" في طبعته الأولى، وتولت نشره: "اللجنة العليا لرعاية للفنون والآداب"، فلقي رغم رداءة الإخراج، وصغر الحرف، ترحيبا واستحسانا من جمهرة المهتمين بهذا النوع من الدراسات، وكان مرجعا رجع إليه طلاب ودارسون، وأساتذة، واستند إليه مؤلفون، واعتمد على بعض مادته باحثون كتبوا أو حاضروا في التاريخ الليبي.

بما إن الطبعة الأولى قد نفذت منذ مدة، فقد طلب إلي بعض الأصدقاء من العلماء إعادة نشره، فمانعت لان إعادة الطبع له، وكما صدر، ومن غير أن أعيد النظر فيه بعد كل هذه الفترة من الزمن، فكرة مرفوضة مني ككاتب ينشد لعمله ما يمكنه من الدقة والكمال.

ليس لدي من الوقت متسع للقيام بما تتطلبه إعادة النظر في مادته، وبصورة جذرية من تفرغ وجهد، غير أن تزايد الإلحاح في إعادة نشره ولاسيما من قبل صديقي صاحب مكتبة قورينة للشر والتوزيع وقدرته على الإقناع، حملني في النهاية على الاستجابة للطلب، فاختلست له من بين مشاغلي اوقاتا متفرقة، راجعت خلالها مادته، فحذفت، وأضفت، وعدلت، معيدا النظر في بعض أرائي، ومضيفا ما تحصل عندي من معلومات جديدة لم تكن يوم كتابته متوفرة لي.

ولعله من غريب الصدف أن اضطر لإعادة بذل الجهد والزمن في تنقيحه مرتين، فقد أضاع صاحب المطبعة التي كلفت به من قبل الناشر الأصل المعدل، ففرض علي

ذلك مراجعته مرة ثانية وهكذا أعدت عملي فيه كله من جديد، وما من شك في أن هذا خير للكتاب، فان العمل المكرر بحثا ومراجعة يكون أفضل وأكمل.

ولقد جاءت هذه الطبعة الثانية المنقحة أوسع من الأولى وأوفر مادة، وأكثر دقة وأمعن تحقيقا. وأملي أن يكون هذا البحث ذا فائدة للقراء في هذه الطبعة كما كان في طبعته الأولى، وما توفيقي إلا بالله سبحانه، فهو وحده الموفق والمعين.

المؤلف

م. م. بازامة

بيروت: يناير 1975

مقدمة الطبعة الأولى

هذا البحث بالنسبة إلي ليس بالموضوع الجديد، فقد سبقت لي معالجته في مطلع عام 1951 م، في مقال نشر بالعدد الثاني من مجلة "ليبيا" الصادر في بنغازي، عدد فبراير من تلك السنة وتحت عنوان: " ليبيا". وإذا كنت اليوم أعود لمعالجته من جديد فلأنني رأيت ذلك ضروريا بعدما تجمع لدي حوله خطر هذه السنوات الطويلة من بيانات تاريخية جغرافية ذات صلة بالموضوع.

ويسرني أن أقدمه لك اليوم _ أيها القارئ العربي _ كحلقة في " سلسلة التاريخ الليبي" بعد أن استكملت دراسته في حدود الإمكان.

طرابلس: يولية 1965م

المؤلف

محمد مصطفى بازامة

مدخل:

الإنسان بماضيه، وماضي الإنسان في تاريخ أرضه ووطنه وقومه. وإحياء الماضي سنة في الأمم قديمها وحديثها على السواء، والقيام بذلك واجب على بعض بنيها ممن شغفوا بالتاريخ دراسة وبحثا أو تخصصوا فيه إجازة وعلما.

والتاريخ يجسد وجود الأمة، ويعطيها أصالة هذا الوجود، ولهذا حاولت الدول الاستعمارية طمس معالم الماضي المشرق، الذي كان لشعوب الأقاليم التي أوقعها سوء طالعها تحت قبضة الاستعمار، فتصدت السلطات المستعمرة لكتابة التاريخ القومي بطريقة تخدم أهدافها وغاياتها في السيطرة والتحكم، وتحقق لها كأمة وكدولة تفوقا ورقيا، وتبث في الشعب الخاضع لها روح الاستسلام والتخلف والقناعة بالمرتبة الدونية. ولهذا نجد في تاريخ عديد من الأمم والشعوب إحياء مقصودا لبعض الأسماء المنسية المهملة، وبعثا متعمدا لبعض المواقف المعينة في تاريخ البلد المحكوم، مع الإغفال المقصود أيضا لأسماء أخرى، والسكوت المطبق عن وقائع بذاتها من تاريخ البلد والشعب الخاضع للاستعمار.

ولقد تعرض تاريخ الوطن العربي للكثير من هذا التشويه المقصود المتعمد، حتى قبل أن تدنس أراضيه الطاهرة أقدام الاستعمار البغيض، ذلك أن الصراع السياسي بين الشرق والغرب والذي امتد قرونا عديدة قد أضفى على التاريخ طابع الانحياز والتعصب، هذا بالإضافة إلى أن العرب قد سيطروا والحضارة العربية قد ازدهرت في

أوروبا لحوالي سبعة قرون متتالية، وليس في إمكان المستعمر بالطبع الاعتراف بالحقيقة كما انه لا يستطيع نكرانها ولهذا فانه قد عمد إلى الوسائل المختلفة في تشويه التاريخ، الأمر الذي يحتم على أبناء الأمة أن يعيدوا النظر فيما كتبه الغرب عنهم طول فترة الاستعمار تحقيقا ودراسة غايتهما إثبات الذات من خلال الالتزام بذكر الحقائق عند سرد وقائع التاريخ، ولما كان المدون من الأقلام الاستعمارية كثيرا ومتنوعا، فان التصدي له جملة من كاتب واحد يعد من ضروب المستحيل، ومناقشته على أساس من الدراسات والبحوث المستقلة، والقائم كل منها بذاته: عهدا، أو موضوعا، أو مكانا، هو الأسلوب الأجدى والاوفق في اعتقادي، لان المستعمر ذاته، قد اتبع نفس الأسلوب، وسار في نفث سمومه على نفس المنوال إذ كان علماؤه وكتابه وباحثوه ينصرفون إلى شتى المواضيع يدرسونها على أساس من التحديد إمعانا في دقة وبراعة التشويه.

وانطلاقا من هذه الفكرة أخذت في دراسة نقاط معينة من تاريخ ليبيا باعتبارها جزءا من كل هذا الوطن العربي، لأعيد للتاريخ ما اعتقد إنها حقيقته وأجلو بعض غوامضه في حدود ما قدر الله لي من علم وما أحطت به من معلومات فيه.

وليبيا ليست سوى واحد من الأقاليم العربية التي خضعت للاستعمار وحكمت منه لفترة من الزمن، وفي خلال هذه الفترة أعاد المستعمر إلى الحياة أسماء العديد من مناطقها التي تعرف اليوم بغير ما كانت تعرف به أبان العهود اليونانية _ الرومانية وهو لم يخف مراميه من وراء ذلك فقد صرح بان هذه التسميات التاريخية هي التي كانت تعرف بها في عهد الاستعمار اليوناني _ الروماني القديم وهو لم يفعل هذا إلا

ليقنع ابن البلد بان استعماره اليوم وفرض السيطرة الأجنبية عليه ليست بدعا في التاريخ، فأجداده الاقدمون كانوا مثله خاضعين لسيطرة المستعمر الأجنبي. ومن بين الأسماء القديمة التي عادت حديثا للحياة اسم: ”ليبيا” موضوع هذا البحث بالذات.

ولقد أثارت الأسماء القديمة التي بعثت من جديد بواسطة المستعمر نوعا من كراهية ابن البلد لها ومحاربته إياها على الرغم من إنها في حقيقة الأمر والواقع جزء من ماضيه المشوه الذي عليه تنقيته من الشوائب وليس من المنطقي أبدا رفضه والتنكر له لمجرد انه جاءنا حديثا من طريق المستعمر للبلاد.

ولقد كانت لبعض الليبيين مواقف متشنجة بالفعل من هذه التسمية ”ليبيا” فرفضوها باعتبارها من مخلفات عهد الاستعمار، وكان للبعض الأخر مواقف غيرها فدرسوا أو حاولوا الدراسة وهم لا يستهدفون سوى محاولة إعطائها نطقا مغايرا لما جاءت عليه عند المستعمر، فقالوا بها ”لوبيا” وتمسكوا بهذا القول. وكان لنا موقفا من هذه القضية يقوم على اعتبار إن الدراسة والتحليل لمعرفة الحقائق المتعلقة بالتسمية والاسم وفي ضوء العلم والحياد العلمي هو الطريق السوي، فالتسمية ”ليبيا” قد أعاد استخدامها الاستعمار الإيطالي، غير إنها لم تبتكر من ساسته ولا جاء بها علماؤه من عندهم وإنما هي تسمية كانت معروفة ومتداولة لفترات طويلة من التاريخ. ومادام الأمر كذلك فلا بد وان تكون لهذا الاسم التاريخي جذور تاريخية يجدر بنا البحث فيها وعنها لتتضح الصورة وتتكامل ظلالها من أعماق التاريخ ذاته، وقبل أن تعبث به يد وقلم المستعمر، وكانت نتيجة الدراسة هي ما يتضمنه هذا البحث.

العودة إلى اسم قديم:

في مطلع هذا القرن، عاد علماء الغرب من الأوروبيين إلى ذلك الاسم العريق في القدم: "ليبيا". "LIBYA". فبعثوه من جديد، ونفضوا عنه غبار الزمن، بعد أن كان قد طال إغفاله، ونساه أهله، حتى أنهم لم يعودوا يذكرونه أو يذكرون به.[1] وكاد أن ينساه العلماء فيما كانوا يكتبونه عن ليبيا والليبيين اللهم إلا من كانت كتابته تتعلق بالماضي العريق لهذا الإقليم.[2] وقد وصل هذا الاسم إلى اللغات الأوروبية

[1] _ الطاهر احمد الزاوي:- "تاريخ الفتح العربي في ليبيا"(صفحة 2)، غير أن اوريك بيتتس.BATES في كتابه القيم THE EASTERN LIBYANS (صفحة _46) يقول بان هناك موقعا لا يزال يعرف (في سنة 1912) باسم (حطية الليبوك) ، تقع على مسافة ثلاث ساعات إلى الجنوب من (واحة سيوة). وان هناك موضعا أخر في شمال شرق (منخفض القطارة) يعرف باسم: (منقارالليبوك). ونعرف نحن بان هناك في جنوب برقة منطقة من (واحة جالو) تعرف باسم: (اللبة) _ بفتح اللام والباء الموحدة معا _. وقد تكون لأي من هاتين التسميتين أو لكليهما معا علاقة تاريخية باسم "ليبيا" القديم وقد لا تكون، ولكن لا " اوريك بيتس " يملك، ولا نحن أيضا نملك أي دليل مادي أو تاريخي، غير التشابه اللفظي بين اسم "ليبيا" واسمي " ليبوك " و " اللبة "، وليس التشابه اللفظي وحده بالأمر الذي يمكننا أن نبني عليه أية نتيجة أو استنتاج..

[2] _ وذلك مثل A. WIDEMANN في 1899) STELE OF LIBYAN ORIGIN) ومثل: G. MARCEIR في: 1900) LES DIVINITES LIBYQUES) ، ومثل: P. LE. P. RENOUF في 1891) WHO WERE THE LIBYANS). أما إذا كانوا يتحدثون عن حاضر الإقليم أو ماضيه القريب، فإنهم كانوا يستخدمون التعبير الجغرافي TRIPOLI OF BARBERIAأو التعبير الجغرافي THE TRIPOLITAINA بالنسبة لما يعرف بطرابلس الولاية وكانوا يستخدمون التعبير الجغرافي " قورينيقا" أو "سريانييك" CYRENAICA بالنسبة لما يسمى عربيا برقة، وقد يمتد بعض الكتاب بمدلول اسم طرابلس ليضفيه على الإقليم جميعه كما فعل مينوتيلي F. MINUTELLI في كتابه LA TRIPOLITANIA 1908)) وقد يذهب بعضهم إلى إطلاق اسم طرابلس فقط على سائر الإقليم كما فعل الأب كوستانزو برنيا P. COST BERGNA في كتابه 1928) TRIPOLI DAL 1510 AL 1850) وقد يجمع بعضهم طرابلس وبرقة للدلالة على الإقليم مع استخدام حرف العطف وحسب. وكان المؤرخون العرب أنفسهم يذهبون هذه المذاهب، فهذا احمد بك النائب يسمي تاريخه: " المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب" وهو يعني بهذه

الحديثة من طريق اللغتين الكلاسيكيتين: اليونانية القديمة، واللاتينية،[3] اللتين يرجع إليهما ويعتمد عليهما كل باحث وكل مؤرخ غرب باعتبارهما معا الأصل الأول للغات والثقافات الأوروبية الحديثة.

وقد وصل هذا الاسم "ليبيا" إلينا نحن من طريقهم، وعرفناه عنهم، وذلك حينما اتصل علماؤنا ومثقفونا بأوروبا وأخذوا عنها، ولعل من أوائل من فعل ذلك المرحوم احمد زكي، فقد استخدم كلمة لوبيا للدلالة على الصحراء الغربية من مصر، وذلك في كتابه: " قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي " الذي أصدره في أواخر القرن الماضي

أول من نادى به:

وكان الكاتب الإيطالي: ف. مينوتلي، فيما ترويه المصادر الإيطالية الحديثة[4] هو أول من استخدمه للدلالة على الايالتين العثمانيتين برقة (بنغازي متصرفليك) وطرابلس (طرابلس غرب ايالت)[5] وذلك في كتابه: ببليوغرافية ليبيا.[6] واحتذى حذوه

التسمية ليبيا جميعها. وهذا ابن غلبون يسمي كتابه: "التذكار فيمن ملك طرابلس ما كان بها من الأخبار" وهو يعني بذلك هو الأخر نفس المعنى: " ليبيا".

[3] _ ORIC BATES:- THE EASTERN LIBYANS PAG> XIX

[4] _ دائرة المعارف الإيطالية (تركاني) مجلد 21، صوت LIBYA وهناك غير هذه، كثيرون جدا من الإيطاليين، ولكن يبدو مؤكدا إن معظم أو كل هؤلاء قد استقوا روايتهم عن هذا المصدر بالذات.

[5] _ أما فزان فقد كانت حينذاك تكون جزءا إداريا من طرابلس " الايالة "، وتخضع لها، ولم تكن ولاية مستقلة بذاتها منذ أن خضعت للحكم العثماني في عهده الأول، وفي عهده القرمانلي، وفي عهده الثاني باستثناء فترة قصيرة جدا (1832_ 1841) تمكن الوطنيون

_ فيما تقوله ذات المصادر _ كتاب آخرون من الإيطاليين والألمان والفرنسيين وغيرهم، ولا سيما بعد أن أطلق رسميا على تينك الايالتين العثمانيتين اسم ليبيا بالمرسوم الملكي (الإيطالي) الصادر في الخامس من نوفمبر 1911، وهو المرسوم الذي أصبح فيما بعد قانونا[7] بسطت ايطاليا بموجبه (من طرف واحد فقط) سيادتها القانونية على الإقليم عقب العدوان المسلح مباشرة.[8]

فيها بزعامة أسرة سيف النصر من ممارسة حكم ذاتي مباشر كانوا خلاله مستقلين فيه فعلا لا قانونا عن طرابلس وعن السلطان العثماني ذاته، غير إن هذه الفترة انتهت بعد صراع طويل بتغلب الأتراك على سيف النصر، وتشريدهم لقبيلة أولاد سليمان في الجنوب، حيث لجأت في معظمها إلى النيجر وتشاد. وبعودة فزان من جديد إلى النفوذ العثماني، والى تبعيتها الإدارية لطرابلس الغرب مرة أخرى.

[6] _ LA BIBLIOGRAFIA DELLA LIBIAوقد نشر هذا الكتاب سنة 1903 بمدينة تورينو بايطاليا. وأعيد طبعه بعد ذلك. والعجيب أن تنسب المصادر الإيطالية إلى هذا الكاتب بالذات ذلك السبق التاريخي في إعادة استخدام اسم ليبيا وبعثه من جديد إلى الحياة، وهو الذي لم يلزم نفسه في تسمية البلاد بهذا الاسم في كتابه التالي عنها إذ نجده عنده LA TRIPOLITANIA ولو كان ما ينسب إليه صحيحا لسماه LA LIBIA ولكنه لم يفعل الأمر الذي يجعلنا نضيف مينوتيلي إلى من سبقت الإشارة إليهم في هامش (رقم 2) والى من سيرد ذكرهم في الهامش (رقم 9) فجميعهم قد ذكرها أو نسب إليها، وبعضهم قد سبقه بعشرات السنين.

[7] _ جرت مناقشته في مجلس الأمة الإيطالي IL SENATO، والتصويت عليه يوم 23فبراير 1912ففازت الحكومة الإيطالية فيه بـ: 431 صوتا مقابل 38 معارضين وصوت واحد محتفظ. (صفحة 355من كتاب كايتانو شيشرون: _المستعمرة الإيطالية الثالثة _ في اللغة الإيطالية).

[8] _ دائرة المعارف الإيطالية (تركاني): نفس الجزء السابق، وقد اخذ نقاد المؤرخين القانونيين حتى من الإيطاليين أنفسهم (مونداييني) في كتابه: تاريخ الاستعمار الإيطالي (القسم التاريخي _ التشريعي) _ في اللغة الإيطالية _ على هذا التصرف القانوني بأنه إجراء ارتجالي لا سند تشريعي له من اصل دستوري أو دولي، إذ صدر من جانب واحد وقبل أن يكون لهذا الجانب حق اصداره، لا بتنازل الطرف المالك قانونيا (تركيا) ولا بحق وضع اليد (الحوز والتصرف)إذ لم تكن ايطاليا وتركيا قد انتهتا بعد إلى ما توصلتا إليه في مفاوضات لوزان

وهذا الذي تدعيه المصادر الإيطالية ليس بالصحيح كلية إذا نحن شئنا الدقة وتوخيناها، فقد ظلت جماعة من العلماء. الغربيين تستخدم هذا الاسم وان منسوبا إليه حتى أخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.[9]

والقانون الذي أشارت إليه دائرة المعارف الإيطالية لم يسم هاتين الايالتين العثمانيتين باسم ليبيا، كما لم يفعل ذلك المرسوم الملكي الإيطالي الذي أشارت إليه، وأول مرة يرد فيها اسم "ليبيا" في وثيقة قانونية رسمية في ذلك العهد كانت منشور كارلو كانيفا C. CANEVA قائد حملة الغزو الإيطالية وحاكم ليبيا المحتلة العسكري، وقد صدر هذا المنشور في طرابلس بتاريخ 7 ابريل 1912م، وينص على دعوة الشركات والمؤسسات القائمة بالفعل في ليبيا إلى التقدم للسلطات لتسجيل الشركة أو المؤسسة في السجل التجاري للولاية.[10] وأول مرة يرد فيها اسم ليبيا في مرسوم ملكي أو قانون كان المرسوم الإيطالي رقم 1133بتاريخ أول أغسطس 1912م. وكان بخصوص انتداب رجال القضاء الإيطاليين للعمل في ليبيا وحقوقهم

ولم تكن ايطاليا قد احتلت من ليبيا بكاملها غير مناطق صغيرة جدا حول المناطق الخمس التي بدأت بها عدوانها. ولهذا فقد كان بسط سلطانها على ارض لا تزال مملوكة فعلا وقانونا لسواها يعد عملا غير مشروع ولا واقعي بالتأكيد.

[9] _ وذلك مثل A. BOTTI في MANUSCRIPTS LIBYENS ECC... (مصر 1900) ومثل L. BERTHOLON في SUR LA RELIGION DES LIBYANS (تونس 1909) ومثل D. G. BRINTON في ON ETRUSCAN AND LIBYAN NAMES (فيلادلفيا 1890) ومثل D. VIVIANI في FLORAE LIBYCAE SPECIEMEN (جنوا 1824) وكثيرون غيرهم. (راجع ما ورد في الهامش (2) أيضا).

[10] _ INISTERO DELLE COLONIE:- ORDINAMENTI DELLA LIBYA, PAG. 400

المدنية ومرتباتهم حين الانتداب.[11] ولا نعرف السبب الذي جعل دائرة المعارف الإيطالية بالذات تذهب هذا المذهب المعيب في نسبة شيء إلى غير مصدره اللهم إلا إذا كانت بذلك تتهرب من إقرار أسبقية الحاكم العسكري في استخدام هذا الاسم على الملك الإيطالي، وروده في المنشور قبل القانون. وليس هذا بالأمر الهام فيما نعتقد إلى الحد الذي يحمل على هذا التصرف غير النزيه فيما يتعلق بالمنطق التاريخي.

قد يكون مينوتيلي هذا هو أول إيطالي استخدم الاسم مجردا كتعبير جغرافي محدد ليدل على الايالتين معا في العصر الحديث، أي انه في عبارة أدق، قد يكون أول من نقله إلى تعبير جغرافي محدد الدلالة بعد أن كان تعبيرا اتنولوجيا جغرافيا مائعا يدل "تاريخيا" دلالة عامة على سكان الشمال الأفريقي، وينقصه التحديد والتعيين. وهذا _ فيما نعلم الآن ومع التساهل _ هو كل ما يمكن أن يكون الكاتب الإيطالي قد سبق غيره إليه، وان كان لم يلتزمه في كتابه التالي عن نفس الإقليم مما ينفي عنه _ كما لاحظنا _ صفة القصد والتصميم. والا فان اوريك بيتس صاحب كتاب: "الليبيون الشرقيون"[12] يقول في مقدمة هذا الكتاب (صفحة XIX) بعد حديثه عن ميوعة وعدم استقرار أو تحدد اسم "ليبيا" وعموميته ما يلي: " وتحت هذه الظروف يصبح من حق القارئ أن يتساءل: وأين هي إذن ليبيا الشرقية هذه؟.. وفي الإجابة على هذا السؤال، يمكن القول بان هذا الاسم لا يدل في الخرائط

[11] _ MINISTERO DELLE COLONIE:- ORDINAMENTI DELLA LIBYA, PAG. 980

[12] _ THE EASTERN LIBYANS. MACMILLAN & Co. LMT. LONDON 1914

الجغرافية على أي قسم من أفريقيا، ومدلوله ليس جغرافيا ولا هو باتنولوجي... الخ" وبيتس يقول هذا سنة 1912 أي بعد تسع أو عشر سنوات من محاولة مينوتيلي تلك، فهل يمكننا القول باحتذاء الآخرين حذوه؟.. وبيتس هذا مؤرخ وبحاثة نعده من بين القلائل جدا الذين اهتموا بأمر ليبيا من غير الإيطاليين؟.. إننا نميل في ارتياح إلى القول بان الاسم الذي أطلق على ليبيا في مطلع هذا القرن لم يرجع فيه فضل لمينوتيلي هذا وإنما شاع اسم ليبيا لحرص ايطاليا على إشاعته بين الناس في المحافل الرسمية والوثائق الدولية لتعيد به ومن طريقه صلة هذا الإقليم بتاريخها القديم.

هذا الاسم عند العرب:

أما علماء المشرق العربي، فلم يكونوا يجهلون هذه التسمية جهلا تاما كلفظ، أو كتعبير جغرافي، فقد كانت معظم الكتب العربية ولا سيما التاريخي منها، يتحدث عن "لوبية" ككورة (أي منطقة إدارية) من كرر مصر الغربية[13] وان جهلت هذه الكلمة _ أو في عبارة أدق _ لم تستخدم في الكتب العربية القديمة كتعبير

[13] _ من هؤلاء المؤرخين والكتاب نذكر: ابن عبد الحكم في: " فتوح مصر وأخبارها"، وابن رسته في: " الاعلاق النفسية"، والمقريزي في: " المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار"، وجلال الدين السيوطي في: " حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" وابن الأثير، في: "الكامل في التاريخ" وياقوت الحموي في: " معجم البلدان"، والقلقشندي في: " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" وغيرهم.

اتنولوجي[14] للدلالة على شعب أو قبيل. وقد استقت هذه الكتب العربية القديمة لفظ "لوبية" _ فيما يبدو _ عن ذات المصدر الذي استقت عنه اللغات الأوروبية الحديثة، أي عن اليونانية القديمة أو عن اللاتينية أو عنهما معا.

والذي يلاحظه الباحث في كيفية وروده بالمصادر العربية أو في معظمها على الأقل. أن هذه الكتب وان كانت تجعل من "لوبية" و "مراقية" كورتان من كور مصر الغربية، إلا إنها تأتي بالخبر إذا جاءت به عند الحديث عن البربر وسكناهم برقة وبقية بلاد المغرب، وتكاد لا تذكره عند حديثها عن مصر وارض مصر، الأمر الذي يربط (في ذهن القارئ ولا شعوريا) بين هذين الاسمين وبرقة أكثر مما يربط بينهما وبين مصر.

ومن الثابت المؤكد عدم استخدام المؤرخين العرب لهذه التسمية في الدلالة على برقة أو طرابلس أو عليهما معا أو حتى على جزء من غربي مصر، باعتبار أن التسمية حية، شائعة، ومتداولة بين سكان هذه المناطق في العصر الذي يتحدث المؤرخ فيه، وجميع كلامهم إنما يدل على إن هذه تسمية قديمة لمنطقة تقع غربي مصر وحسب.

14 _ حينما يتحدث المؤرخون العرب عن سكان " لوبية" قبل الإسلام وخلاله يسمونهم البربر، وهذا هو الاسم الذي عرف به العرب سكان الشمال الإفريقي فيما غرب مصر حتى شاطئ المحيط، ولم اعثر على رواية واحدة تنسب إلى " لوبية " فتسميهم باللوبيين بملي صفة الجمع أو اللوبي على الأفراد إذا استثنيت عبارة شاردة وردت عند ياقوت الحموي في معجم البلدان: " ينسب إليها لوبي" وهي عبارة بحكم ما قبلها وما يتلوها قصد بها النسبة لغة وحسب.كما لم يشر إلى هذا الموضوع واحد فقط من الكتاب المعاصرين الذين تناولوا هذا الموضوع من قبل بالبحث والدراسة.

شيوعه في العصر الحديث:

وفي أخر القرن التاسع عشر نجد هذه التسمية تستخدم من جديد للدلالة _ في العربية _ على الصحراء الغربية من مصر[15]، ولكنها لم تطلق _ حينذاك _ على أي جزء من برقة أو طرابلس، قبل أن تشيع هذه التسمية في العقد الثاني من القرن العشرين،[16] لذلك فان الكتاب العرب، ولا سيما الليبيون منهم لم يقبلوا بهذه التسمية حين بدء شيوعها واستخدامها في العربية بنفس الرضي والسهولة التي تقبل

15 _ المرحوم احمد زكي في قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي (سنة 1899)، حيث يقول: " لوبيا اسم لصحراء تفصل ديار مصر، وايالة طرابلس.. الخ"، ويبدو انه استخدم هنا تعبير طرابلس الغرب بمعناه الشامل للايالتين العثمانيتين برقة وطرابلس معا (راجع هامش رقم 2)،والا فقد كان كلامه منصبا على برقة باعتبارها "لوبية " وليس هذا بقصده على التأكيد.

16 _ ليست هناك فيما نعلمه، ولا فيما رجعنا إليه، منطقة تعرف بهذا الاسم، أو بما يمكن أن يتصل به عدا ما سبقت الإشارة إليه (هامش رقم 1) من هذا الفصل. وعدا اسم منطقتين في طرابلس الولاية يعرفان باسم رأس اللبوة، احدهما في منطقة غريان والثانية في منطقة العزيزية، وقد ذكرا في ELENCO DEI NOMI LOCALITA الذي وضعه مكتب الدراسات الحكومي كملحق للخريطة التي رسمها لطرابلس الشمالية مقاس: 1 100,000(صفحة 52)، وليس في اسماه القبائل وبطونها ما يمكن أن يحتمل معه قيام أي شبه بكلمة " ليبيا " هذه سوى عائلة من " فخذ غريبيل" _ احد أفخاذ بطن اسديدي من قبيلة العواقير في برقة _ ففي اسمها الذي تعرف به شبه كبير بهذه التسمية، فاسم هذه العائلة كما أورده ENR. DE AGOSTINI في كتابه LE POPOLAZIONI DELLA CIRENICA (صفحة 309) هو عائلة (لبوة) بفتح أوله وسكون الياء، والشبه هنا بالذي قبله واضح تمام الوضوح، ومع ذلك فقد لا يكون للأمر أية قيمة هنا، إذ أن اللبوة في العربية، ونفس الكلمة بدون الهمزة في الشعبية تعني أنثى الأسد. وهي في الشعبية صفة شائعة للمراة الشرسة الطباع كذلك، وهذا معناه إن من الجائز أن تكون هذه العائلة قد انتمت أو اكتسبت هذا الاسم من الانتماء إلى الأم، وهذه النسبة إلى الأم هي الأخرى طريقة مألوفة وشائعة في انساب قبائل برقة بل وبدرجة ملحوظة.

بها علماء الغرب هذا التعبير الجغرافي الجديد القديم،[17] واستخدموه.[18] وحتى حينما سلم الكتاب العرب بهذه التسمية وقبلوها لم يأخذوا بها على الشكل الذي شاع استخدامها عليه (الياء من بعد اللام) وإنما تمسكوا بالرسم الذي وردت عليه في الكتب العربية القديمة (الواو من بعد اللام) على اعتبار انه الأصح أصلا.[19]

أما علماء الغرب فإنهم وان اتفقوا على الصوت (النطق) فإنهم قد اختلفوا عند الرسم فكتبوها LIBYA- LYBIA - LIBIA[20] كما اختلفوا_ أوفي عبارة أدق لم يجمعوا على الأصل اللغوي الذي يرجعونها إليه فقدموا عددا من النظريات والتعاليل

[17] _ أما المنطقة المعروفة في الجبل الأخضر من برقة باسم: "قصر ليبيا" فلا صلة مطلقا لاسمها هذا بليبيا إذ انه تحريف حديث لاسم قديم لقرية بيزنطية عرفت باسم (OLBIA) وكان السكان يعرفونها باسم: " قصر البيا" وواضح هنا انه نفس الاسم البيزنطي القديم، وقد اخطأ عدد من كتاب الإيطاليين في تهجي الاسم فرسموه: GASR EL EBBIA في عدد كبير من المراجع والدراسات الإيطالية. 17_ تعرض الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة في مقاله: "ليبيا، الاسم ومدلولاته التاريخية"، الذي نشر بالعدد الأول من مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية سنة 1958م. للعوامل النفسية التي دفعت بالليبيين إلى كراهية هذا الاسم وعدم قبوله فقال: "... غير أن الاحتلال الإيطالي الذي ابتليت به البلاد منذ بضعة عقود من السنين اقترن باسم ليبيا. وكان طبيعيا أن يحرص الوطنيون المجاهدون في داخل البلاد وفي مهاجرهم على أن يلتزموا التسمية القديمة... ومع ذلك فان ذيوع هذه التسمية مع الاحتلال واقترانها به كان أمرا كريها جارحا لحساسية المجاهدين وظل بعض علماء ليبيا ينفرون من الاسم الجديد القديم... الخ " (صفحة 3).

[18] _ من بين من رفضها صراحة الشيخ الطاهر الزاوي في "تاريخ الفتح العربي في ليبيا" وقد أشار (في صفحة 3) كما أشار الأستاذ مصطفى بعيو(في هامش صفحة 2) من كتابه: "المجمل في تاريخ لوبيا"، إلى إن هناك من الليبيين من يرى رأي الزاوي هذا في ضرورة التخلي عن هذه التسمية باعتبارها غير عربية، بل هي مما جاء به الاستعمار لطمس الماضي، ولكن ايهما لم يقدم أسماء معينة لأشخاص بذاتهم من زعماء، أو من علماء البلاد.

[19] _ من هؤلاء الذين وقفوا هذا الموقف من الليبيين الأستاذ مصطفى بعيو في كتابيه "المجمل"، و "دراسات في التاريخ اللوبي"..

[20] _ مصطفى بعيو: "دراسات في التاريخ اللوبي"، صفحة 12 و 13.

حاولوا فيها إرجاع الكلمة إلى اصل يوناني أو بربري أو عبري أو فينيقي أو حتى عربي.[21]

وقد رأيت أن أتناول بالكتابة هذا الموضوع الغامض[22] فأقوم ببحثه بحثا دقيقا قائما على أساس من المنهج التاريخي، محاولا بذلك الوصول فيه إلى أرجح الآراء في اصل رسم هذه الكلمة التي طال فيها وحولها الجدل بين كتابنا وعلمائنا العرب في هذا العصر الحديث خاصة وإنها اليوم اسم لجزء من الوطن العربي نسكنه وننتمي إليه.

[21] _ سأتعرض لهذه النظريات في فصل خاص من هذا المبحث.

[22] _ وغموضه في صعوبة الوصول فيه إلى رأي قاطع ونهائي سواء فيما يتعلق بالأصل اللغوي لها أو فيما يتعلق بمدلولها الجغرافي أو الاتنولوجي أو، فيما يتعلق برسمها بالواو أو بالياء.

الفصل الثاني

رسم الكلمة في النصوص اللغوية المختلفة

تعدد النصوص مثار للاختلاف:

إن في ألسنة الشعوب اختلافا بينا لا يحتاج الباحث معه إلى بذل الجهد للتدليل عليه. يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: " ومن آياته خلق السماوات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين".[1]

ومادام الأمر كذلك فان أسماء بعض الأماكن والمدن والأقاليم لا بد وان تختلف في رسمها وفي نطقها بين لغة ولغة ولهجة في ذات اللغة الواحدة.

ولقد سبقت:الإشارة إلى ما في رسم اسم ليبيا من اختلاف بين اللغات واللهجات والكتاب والدارسين حتى في اللغة الواحدة. ولو إن اسم ليبيا لم يرد في غير لغة واحدة حية، أو غير حية، لهان الأمر أمام الباحث فيه، ولأستطاع أن يحدد النطق السوي لهذه الكلمة، ويكون قول احد العلماء المتخصصين في تلك اللغة هو القول الفصل الذي لا خلاف بعد. أما وقد ورد ذكر هذه الكلمة في أكثر من لغة من لغات العالم غير الحية، ومن لغاته الحية كذلك فان الاختلاف حول النص وكيفية النطق به في هذه اللغة أو تلك لا بد وان يوجد لتباين نطق الحركات والحروف بين لغة وأخرى يستوي في هذا اللغات الحية وتلك التي أهمل التحدث بها أبناؤها، وأصبحت لغة مدرسية (كلاسيكية) محضة يدرسها بعض العلماء لغرض التخصص العلمي وحسب كالهيروغليفية والديموطيقية المصريتين، وكالفينيقية واليونانية واللاتينية القديمة.

[1] _ سوره الروم: الآية 22.

أن الفرنسي حينما يقرا أداة التعريف "La"، ينطقها بصوت يختلف في مخارجه عن الصوت الذي ينطق به الإيطالي وهو يقرأ هذه الأداة، ولو قراها إنجليزي يجهل اللغتين السابقتين معا لنطق بها في صوت يختلف عنهما في مخارجه. والاختلاف حول نطق كلمة ليبيا بالياء وبالواو من بعد اللام هو في نظري على الأقل، شيء من هذا حتى لو كنا نعيش في عصور ما قبل الميلاد ناهيك بنا ونحن نختلف حول النطق وقد ماتت جميع اللغات التي يمكن أن تكون مصدرا لهذه الكلمة واصلا أولا لها، وأصبح المتخصصون فيها من غير أبنائها في غالب الأحيان، لذلك فإننا سنورد في هذا الفصل رسمها في النصوص اللغوية المختلفة مقدمين لها ونحن في موقف حيادي نمسك فيه عن إبداء رأي نهائي وقاطع بصحة نطقها على هذا الوجه أو ذلك.

ونصوص الكلمة نجدها (الهيروغليفية الفرعونية وفي العبرية وفي الفينيقية واليونانية واللاتينية والعربية واللغات الأوروبية الحديثة، وفيما يأتي سنقدم كلا من هذه النصوص وبنفس الترتيب.

النص الهيروغليفي:

تخطيء دائرة المعارف الإيطالية (تركني) إذ ترجع أول نص تاريخي مدون لكلمة ليبيا إلى الألف الثالثة قبل الميلاد،[2] كما اخطأ من حدد العهد بالدولة القديمة

[2] _ دائرة المعارف الإيطالية (تركاني) المجلد 21

(الأسرة الخامسة) استنادا إليها[3] ذلك إن ما كشفت عنه نصوص الآثار المصرية الراجعة إلى عهد ملوك الأسرة السادسة كان اسما أخر لليبيين سبق اسم " ليبو" وتلي اسم "تحنو" أقدم الأسماء المعروفة لليبيين في التاريخ على الإطلاق، وسنعود إلى هذا الموضوع في مكان أخر وبالقدر الكافي من التفصيل ومن الدراسة.

أما أقدم نص تاريخي مدون لكلمة " ليبو" L'BW أو "ريبو " R'BW[4] عثر عليه في النصوص الفرعونية فهو النص الراجع إلى عهد الملك " مرنبتاح" من ملوك أسرة التاسعة عشرة، لقد حكم مصر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لقد ورد ل نصوص الكرنك المنسوبة إلى هذا الملك[5] اسم " ليبو " LEBW (هيروغليفيا)، ولأول مرة في التاريخ.

و "ليبو " اسم لقبيلة أو قبائل كانت لها احتكاكات متعددة بجيرانها الشرقيين "المصريين" طوال عهود التاريخ الفرعوني بعد ذلك[6] ويكاد يجمع من تعرض بالدراسة لهذه الكلمة من المؤرخين على إن هذا النص الهيروغليفي هو أقدم نص مدون عثر

[3] _ صوت LIBIA محمد المرابط، مقال نشر له في اللغة الإيطالية تحت عنوان SULL'ETIMOLOGIA STORICA DI LIBIA بالعدد الأول من السنة الأولى من مجلة " ليبيا LIBIA "، عدد يناير _ مارس 1953، طرابلس (صفحة 110)

[4] _ اوريك بيتس: _ نفس المصدر السابق صفحة 80و 258، ويلاحظ هنا ان الكتابة في الهيروغليفية كاللغات السامية والحامية لا ترسم الحركات VOWELS مما يجعل من الصعب تحديد النطق في LBW هذه. ويرى الدكتور فوزي فهيم جاد الله ان ريبو لم ترد في النصوص المصرية للدلالة على الليبو، ولا مرادفة لها، وإنما هو خطأ في قراءة الدارسين للنص، ويرى صوابه بقراءته " ليبو" وحسب. (راجع بحثه: مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت. ليبيا في التاريخ، صفحة 69).

[5] _ سليم حسن: _ مصر القديمة، الجزء السابع، صفحة 84 وما بعدها.

[6] _ جميع مصادر التاريخ الفرعوني تقريبا. وفي أية لغة حديثة.

عليه حتى الآن. وهذا معناه انه سابق زمنا لجميع النصوص التي وردت في لغات أخرى غير المصرية، كالعبرية والفينيقية والإغريقية، وبهذا يمكن وضعه على رأس القائمة من حيث الترتيب الزمني.

النص العبري:

واكتشاف النص السابق حديث نسبيا إذ إن عملية فك رموزه لم تصبح ممكنة إلا بعد أن تمكن العالم الفرنسي الشهير شامبليون من قراءة بعض عبارات حجر رشيد في القرن الماضي. ولكن العلماء قد شغلوا أنفسهم بالبحث عن اصل كلمة ليبيا حتى قبل هذا التاريخ، وكان الكتاب المقدس احد مصادرهم الأولى التي يعتمدون عليها في البحث والدراسة. وفي سفر التكوين وغيره من أسفار العهد القديم نجد نصا لهذه الكلمة وقد رسم في شكل לֻוּבִים (لوبيم)[7] LUBIM كما ورد الاسم أيضا في الشكل التالي לְהָבִים (ليابيم) LEABIM أو (لهابيم) LEHABIM[8] ونلاحظ هنا إن الألفاظ العبرية ليست كاللفظ الهيروغليفي، أي أنها ليست اسم جنس اتنولوجي أطلق على أناس (شعب) ولم يطلق على الإقليم فحسب، بل أنها كانت أيضا في

7 _ الكتاب المقدس: سفر الأخبار الثاني 12_3، 16_18، سفر ناحوم 2_9. وقد جاء مفردها לֻבִּים في سفر دانيال 11_43. ومن المظنون انه رسم أيضا לוּב في سفر حزقيال 30_5 (مصدرنا في هذا اوريك بيتس، كتابه السابق، صفحة 258، 259. وسيكون هذا مصدرنا الرئيسي في كل ما يتعلق بالنص العبري ورسمه، وإلى جانب الكتاب المقدس في ترجمته العربية وفي ترجمته الإيطالية كذلك.

8 _ سفر التكوين: 10_13، سفر الأخبار الأول: 1_11، وورود الاسم على هذا الشكل في سفر التكوين أصبح من المظنون انه أقدم صيغة من الشكل الأخر الذي ورد عليه هذا الاسم لوبيم. أما النطق لهابيم فهو الذي سارت عليه الترجمة العربية بينما ذكر لي أستاذ جامعي بأنه من الجائز قراءته ليابيم ومن بعد عثرت على نفس اللفظة LEABIM في دائرة المعارف الإيطالية تركاني فأخذت به هنا.

بعض أشكالها تعبيرا جغرافيا أطلق على الأرض كذلك[9] ولما نشاهده من ورود اسم لوبيم وليابيم وليبيا في جميع الأماكن التي وردت فيها بالكتاب المقدس مصاحبة لكلمة مصر والمصريين والاثيوب فأننا نرجح الرأي القائل بمعرفة العبرانيين لليبيين أو الليابيم أو اللوبيم كشعب عن طريق المصريين واللغة المصرية.

وإذا صحت نظرية قدم لفظ ليابيم على لفظ لوبيم، وتطور المتسمية الثانية عن الأولى، فان هذا يضيف إلى صعوبة تحديد الرسم بسبب تعدد واختلاف اللغات، صعوبة أخرى، تنشا عن تطور اللفظ ذاته في اللغة الواحدة، الأمر الذي يجعل من المتعذر علينا الحكم في الموضوع برأي قاطع على أساس من النطق الأول للكلمة والذي يفترض فيه انه الأسلم.

النص الفينيقي:

عثر في تونس وفي طرابلس[10] على نقوش فينيقية (بونيقية حديثة NEW PUNIC) تضمنت اسم الليبيين. وقد ورد فيها رسم الكلمة بما يقابل LBY لوبي_ ليبي حالة التذكير، ويما يقابل LBT لوبت – ليبيت في حالت التانيث، وكلا

9 _ حزقيال: 30_5، فقد جاء في الترجمة ا لإيطالية هكذا:– " L'ETIOPIA, LA LIBIA. LA LIDIA, PUT. LUD, GLI STANIERI D'OGNI SORTA, CUBEI FIGLI DEL PAESE DELL'ALLEANZA. CADRANNO CON LORO PER LA SPADA" أما في الترجمة العربية لذات الآية فقد وردت هكذا: " فكوش ولوط ولود وجميع اللبنيف، وكوب، وبنو ارض العهد يسقطون معهم بالسيف"، أي بإسقاط ليبيا وليديا من الترجمة العربية، ولا نعلم لهذا مبررا في ترجمتين معتمدتين ربما لأصل واحد مشترك.

10 _ محمد المرابط: مقاله المشار إليه (هامش 3) نقلا عن المؤرخ الفرنسي GSELL في مؤلفه التاريخي الكبير HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD ودائرة المعارف الإيطالية نفس الموضع المحدد سابقا (راجع هامش 2). وهي أيضا قد اعتمدت على نفس هذا المرجع الفرنسي الهام.

النصين في حالة الأفراد كما وردت أيضا بما يقابل LWBYM - LWBAT لوبيم _ لوبات في حالة الجمع[11] وهذه أيضا ليست اسما جغرافيا يطلق على الإقليم. وإنما هي اسم جنس اتنولوجي أطلق على قوم عرفوا آنذاك بهذا الاسم.[12] ويقول ثاني مصدرينا هنا بان البونيقيين THE PUNIC[13] قد يكونوا استقوه عن الفينيقية القديمة. وليس هذا في نظرنا بالأمر المحتم إلا إذا قام عليه دليل من نص تاريخي أو اثري (نقش)، إذ من الجائز أكثر: احتكاكهم بهؤلاء القوم المعروفين باللوبي أو بالليبو قبل أو أثناء امتداد سلطانهم إلى غرب أو كل ليبيا الحديثة. ومن المؤكد اتصالهم باللوبين أو الليبيين بعد ذلك حينما أقاموا مدن الأسواق أو الامبوريا EMPORIA[14] وعن هؤلاء عرفوا الاسم وتداولوه دونما حاجة إلى استقائهم له عن مصدر غير ليبي كالفينيقية التي يريد صاحب الرواية إرجاع الأصل إليها، وهذا لا ينفي استناد صاحب الرأي فيه إلى أدلة تاريخية أو أثرية فنحن لم نطلع على هذا

[11] _ ويلاحظ هنا إننا لم نورد رسم الكلمات الثلاث في البونيقية كما فعلنا في الهيروغليفية وفي العبرية، ومرد هذا إلى إننا لم نعثر في المصادر التي رجعنا إليها (وهي ثانوية) على الرسم الذي عثر عليه، ولو إننا وجدناه لقدمناه خدمة للباحث العلمي الذي قد يجيد القراءة لها في النص الأول الذي وردت فيه هذه اللغة أو تلك.

[12] _ ويلاحظ هنا أيضا إننا لم نطلع على المصدر الأول، وبالتالي فنحن هنا لا نجزم بهذا الرأي، وإنما نتحدث في حدود ما تحت يدنا من مصادر، فإذا أتضح وجود نص له دلالته الجغرافية إلى جانب النصوص ذات الدلالة الاتنولوجية فان هذا لا يغير شيئا مما ذكرناه هنا.

[13] _ وهؤلاء هم الفينيقيون أنفسهم. غير ان علماء الغرب، لا سيما الإيطاليين جروا على التفرقة بين الفينيقيين سكان ارض كنعان في الشرق وبين سكان قرطاجنة بالشمال الإفريقي من نفس الشعب، بان سموا أهل المشرق منهم بالفينيقيين PHOENICUS وأهل المغرب منهم بالبونيقيين PUNIC وقد ارتحت شخصيا لهذا وسأتبعه في بحثي هذا للتفرقة بين فئتي ذات الشعب في البلدين، هذا بالإضافة إلى ان هناك مبررات عدة لعل من أهمها تمازج البونيقيين بالليبيين وتميزهم عن الفينيقيين حتى في اللغة.

[14] _ والامبوريا هو الاسم الذي كان البونيقيون فالرومان يطلقونه على إقليم طرابلس الغرب قبل ان يكتسب هذا الاسم الجديد من " اتحاد المدن الثلاث" ومعنى الامبوريا الأسواق.

الرأي إلا عند من كتبوا نقلا عنه. وهذا أن صح فان من الجائز استقاء الفينيقية له عن المصرية كما هو ثابت من اتصال الشعبين الفينيقي – المصري قبل العهد العبري وخلاله وبعده. ولعدم احتمال اتصال الفينيقيين بالليبيين قبل ان يعرفوا عنهم من المصريين.

النص اليوناني

فإذا انتقلنا إلى اللغة اليونانية وهي أول لغة استخدمت بالتأكيد هذا الاسم للدلالة على الإقليم ذاته (أو استخدمته تعبيرا جغرافيا (ولو فيما نعلمه حتى الآن) وجدنا أقدم النصوص في هذه اللغة قد ورد عند هوميروس في ملحمته الشهيرة الاديسيا ODISSEA[15]، وهو يستخدم اللفظ للدلالة على ليبيا كإقليم،[16] ولكنه حينما تعرض في هذه الملحمة للحديث عن الليبيين أنفسهم أطلق عليه اسم اللوتوفاجي[17] أي أكلي نبات اللوتس.

[15] _ هوميروس، شاعر يوناني كفيف في البصر، من جزيرة خيوس.عاش حوالي القرن التاسع قبل الميلاد (حسب رواية هيرودت) وصلتنا عنه ملحمتان شعريتان هما " الإلياذة " و" الايديسيا". ويرى بعض المؤرخين ان هاتين الملحمتين لم تدونا في شكلهما التاريخي المتكامل إلا حوالي سنة 530 قبل الميلاد (عهد بيزستراتوس BISISTATOS أما قبل ذلك فقد كانتا تتناقلهما الأجيال المتعاقبة شفويا، وعن طريق المنشدين لهما في المحافل العامة والحفلات الرسمية والدينية.

[16] _ الايديسيا، الكتاب الرابع، 85، الكتاب الرابع عشر 295.

[17] _ الايديسيا،الكتابان التاسع والثالث والعشرون.

بعد هوميروس نجد ذكرا لاسم ليبيا قبل هيرودوت عند كل من الشاعر اسكيلوس ESCHILOS والشاعر بنداروس،[18] أو لعل الأخير معاصر لهيرودوت فما بينهما ليس سوى زمن يسير.

أما هيرودوت فنجد عنده كلمة ليبيا مرسومة على الشكل التالي: λαδιγ LIBUWA ليبيا. كما نجد عنده كلمة الليبيين مرسومة على الشكل التالي: ςαδιγ LIBYES الليبيون.[19]

ولدى هذا المؤرخ نجد ليبيا وقد اتخذت عنده وفي عصره مفهوما يغاير في تعبيرها الجغرافي ما تعنيه بتعبيرها الاتنولوجي فليبيا بالنسبة إليه تعني المعروف من قارة أفريقيا والمتوهم منها كذلك[20] (ليبيا عنده مرادفة في معناها لكلمة إفريقيا في عصرنا)، بينما لا يطلق اسم الليبيين إلا على الجنس الأبيض الذي يسكن شمال القارة، أما

[18] _ DOTTOR VITTORIANO BRAIDA:- MEMORIE PER L'UFFICIALE DEI REPARTI INDIGENI DELLA CIRENAICA

[19] _ دائرة المعارف الإيطالية تركاني، وهيرودوت في نصه اليوناني، الكتاب السابع مثلا 70و 71 في الحالتين.

[20] _ هيرودوت: الكتاب الثاني، في معظم أقسامه الأولى.

سكان الجنوب فهم عنده جنس أخر سماهم الاثيوب.[21] وبعد هيرودوت نجدها عند عدد كبير جدا من شعراء وعلماء ومؤرخي الإغريق الآخرين.[22]

وعن اليونان شاعت هذه التسمية كتعبير جغرافي للدلالة على الإقليم وعلى القارة الإفريقية عدا جزء من مصر[23] أو عدا جميع مصر[24] وعنهم اخذ الرومان هذا الاسم فيما بعد.

النص اللاتيني:

ومن المعروف ان اللغة اليونانية كانت الأصل الحضاري للثقافة الرومانية. ولذلك فأن دخول الكلمة ليبيا إلى اللغة اللاتينية أنما تم بالضرورة عن طريق اليونانية والفينيقية معا، باعتبار ان الرومان قد احتكوا بالفينيقيين بل وبالليبيين المجندين في جيوش قرطاجنة في عهد سبق مجيئهم للشمال الإفريقي كمستعمرين لأقاليمه.

[21] _ هيرودوت: الكتاب الرابع 197، ويقول فيه: "يسكن ليبيا أربعة أجناس من البشر: جنسان من البلاد نفسها، الليبيون في الشمال والاثيوب في الجنوب. وجنسان من خارج القارة: هما اليونان وأهل قرطاجنة البونيقيين، وقد اخرج مصر من ليبيا لا لأنه اعتبرها جزءا من أسيا كما فعل سواه بل لأنه رآها قائمة بذاتها خارجة عن القارتين.

[22] _ من بين هؤلاء كاليماخوس CALLIMACUS وكارنيادس CARNEADES وايراتوستنيس ERATHOSTENES،. وهم من أبنائها القورينيين.

[23] _ وذلك عند من أشار إليهم هيرودوت في تاريخه من اليونيين IONII راجع الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة، مقاله السابق، (هامش 17 من الفصل الأول) صفحة 7، وذلك لان القدماء اعتبروا نهر النيل هو الحد الفاصل بين ليبيا واسيا، فكانت الدلتا لوقوعها بين فرعي النيل مشكلة حلها هؤلاء بقسمتها بين القارتين.

[24] _ وهذا عند هيرودوت الذي يعتبر مصر بالدلتا بل وبكل ما يرويه النيل بمائه خارج عن ليبيا القارة وعن أسيا أيضا، ويجعل منها إقليما قائما بذاته بينهما ليس لأي منهما. راجع الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة. مقاله السابق (هامش 17 الفصل الأول) صفحة 7.

وفي هذه اللغة نجدها قد رسمت LIBYES للدلالة على ليبيا أو على وطن الليبيين غير ان المدلول الذي كان لهذه الكلمة في اليونانية قد تقلص عند الرومان حتى أصبح لا يطلق على غير جزء من ليبيا الحالية (برقة وصحراء مصر الغربية) وذلك لحلول اسم إفريقيا محله.

النص العربي:

ونجد هذا الاسم أخيرا عند العرب ذا دلالة جغرافية محضه وقد رسم في اللغة العربية (لوبية)، بينما لا اثر في أي مصدر عربي قديم _ فيما اطلعنا عليه منها _ لهذا اللفظ كتعبير اتنولوجي أو كاسم جنس، إذا استثنينا إشارة في معجم البلدان لياقوت الحموى،[25] يفهم منها أنه قصد النسبة إلى لوبية لغة ليس إلا ولكن العرب لم يعينوا لهذا اللفظ ذي الدلالة الجغرافية أرضا تعين فيها وبها هذه التسمية لا كإقليم ولا كجزء من إقليم، فهو عندهم اسم قديم انعدمت دلالته على ارض بذاتها، وقد كان يطلق ممن سبقهم من أجيال على منطقة تقع فيما بين الإسكندرية وبرقة، فهم مرة يجعلونها قبل مراقية، ومرة أخرى يجعلونها واقعة بعدها وهم مرة ثالثة يجعلونها (وكذلك انطابلس _ بنتابوليس) اسما لمدينة كانت تقع في حدود هذه المناطق مما يدل على ان اللفظ عندهم كان ذا دلالة جغرافية حائرة فلا موضع له في أية بقعة ولا مدلول اتنولوجى له. إذ لا يوجد في شعب مصر ولا في سكان برقة

[25] _ في كتابه معجم البلدان يقول تحت اسم لوبية: "... بالضم، ثم السكون، وباء موحدة، وياء مثناة من تحت، مدينة بين الإسكندرية وبرقة ينسب إليها(لوبي). وقال...... الخ". وليس هذا مما يمكن ان يؤخذ على انه تعبير اتنولوجي ألا من قبيل نسبة الفرد إلى وطنه لغة ومألوفا.

وطرابلس من الناس من يحمل هذا الاسم ويتسمى به. وعلى هذه الحال بقيت، الكلمة في المصادر العربية ينقلها هذا عن ذلك حتى مطلع القرن العشرين. واغلب الظن إنها دخلت العربية من طريق الترجمة المبكرة للمصادر اليونانية أو غيرها ولم يستقيها العرب عن أهل البلاد ذاتها.

النص في العصر الحديث:

وعن النص اليوناني أو اللاتيني (أو العبري) أخذت اللغات الأوروبية الحديثة فرسم الاسم في الإنجليزية LIBYA بدون شذوذ إلا في حالة واحدة وقفت عليها اعتبرها شاذة بين كتابات هذه اللغة[26] ورسم في الفرنسية LIBYA كذلك.
وان كان الأستاذ مصطفى بعيو يقول في الدراسات بأنها رسمت LIBYA ولا اعلم قوة مصدره في هذا، ورسم في الإيطالية LIBIA وفي حالات LIBYA. والإيطاليون في كتابتهم لها بأول الشكلين أنما راعوا النطق وطبيعة اللغة الإيطالية التي ليس من بين حروف أبجديتها الأساسية حرف "Y" هذا.

وعن الإيطالية أخذه الوطنيون فكتبوه ليبيا، وتسموا كما سموا من الغير باسم الليبيين، وعنهم وعن غيرهم شاع استعمال التعبير بدلالته الجغرافية والاتنولوجية، وكتب على هذا الشكل الأخير ليبيا بالياء في معظم الخرائط العربية، وكل الخرائط الإفرنجية، وأخيرا اكتسب هذا الاسم صفته الرسمية الدستورية بإطلاقه على الدولة الليبية منذ ميلادها سنة 1951م. (المملكة الليبية المتحدة، ثم المملكة الليبية،

[26] _ قال عنها الأستاذ مصطفى بعيو في الدراسات أنها وردت في تسمية أ.ج كاكيا لكتابه: " ليبيا في العهد العثماني الثاني" فقد رسمت على أنها LIBIA.

وأخيرا الجمهوري العربية الليبية).

ولكن بعض الكتاب العرب – ولا سيما من الليبيين _ عارضوا في شيوعه نافين ان يكون الأصل فيه الياء بدلا من الواو وتمسك لذلك بكتابته " لوبيا" بالواو أي على ما ورد في الكتب العربية القديمة. واعتدل البعض في النظر إلى القضية فنادى بمجاراة ما شاع وان تمسك بأن الأصل الصحيح فيه هو الواو وليس الياء، وعارض البعض الباقي في هذا، ونفى ان يكون اللفظ صحيحا في نطقه بالواو، ونادى برسمه بالياء كما هو، كما شاع بين سكان البلاد على ان الخلاف في هذه التسمية بين رسمها بالواو ورسمها بالياء لم يعد له من مبرر أو ضرورة بعد ان أصبح الاسم " ليبيا " وليس «لوبيا» هو الاسم الرسمي والدستوري الذي لها في التشريعات وفي المحافل الدولية.

والخلاصة:

والخلاصة التي ننتهي إليها من بحثنا هذا عن رسمها في مختلف اللغات ولدى تلك الشعوب التي احتكت بها عبر التاريخ، هي أنها تسمية قديمة يرجع أقدم نص مدون لها في التاريخ إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي إلى ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة بمائتين من السنين أو أكثر قليلا. وهي تسمية معروفة قديما في المصرية القديمة وفي العبرية وفي الفينيقية واليونانية واللاتينية والعربية على السواء.

وإذا كان المستعمر هو الذي أعادها إلى الحياة من جديد فان صلته بها تاريخيا معدومة فهي ليست التسمية الرومانية الخالصة، حتى تحقق بها ايطاليا أو من خلال إحيائها مجدا، ولهذا فان الحساسية التي تولدت لدى البعض من العرب

تجاهها لا تستند على أساس غير مبدأ الرفض المتعنت لكل ما يأتي من طريق العدو أو بواسطته. وإذا جاز هذا الموقف وقت الصراع فانه لا مبرر له في كل حين خاصة إذا كان هذا الذي شاع معروفا قبله من سواه على ما سبق إيضاحه في الذي تقدم من هذا البحث.

ان النص الهيروغليفي لا يساعدنا كثيرا في تحديد رسمها عربيا بالواو من بعد اللام (لوبيا) أو بالياء بعده (ليبيا) ذلك أن المصرية القديمة كاللغات السامية وكأخواتها من اللغات الحامية المكتوبة تغفل الحركات في الكتابة، وترتكز فقط على الحروف ولذا نجد فيها اللام والباء وحدهما ودون أية حركة مدونة بينهما مما يجعل تحريك اللام بالرفع والنصب والجر جائز وبنفس القوة. ومثل هذا يقال عن الفينيقية. أما العبرية فقد أوردتها باللام مرفوعة في "لوبيم" ومكسورة في ليابيم ولها بيم، ما اثبت فيها الحالتين. ولم يرد في اليونانية القديمة و(خاصة الدورية) حرف "Y" من بعد اللام[27] وإنما جاء هذا الحرف من بعد الباء مما جعل نطقها استنادا إلى اليونانية بالواو كما يريد البعض غير وارد أصلا، وروده في بعض حالات في الإنجليزية أو في الفرنسية أو الإيطالية أو غيرها من اللغات الأوربية الحديثة LYBIA بدلا من LIBYA لا يمكن ان يرتكز عليه باحث جاد لأنه جاء في نصوص ثانوية ومن قبل أشخاص ليسوا حجة في الموضوع ولا هم بالمتخصصين في الدراسات اللغوية، واغلب الظن ان هذا البعض كان متأثرا بالصيغة الواردة للاسم في الكتاب المقدس (العهد

[27] _ وقد أكد لي هذه القضية أيضا الباحث الاركيولوجي " قودتشايلد" مراقب الآثار فمستشار للمصلحة ولأكثر من عشر سنين. فقد قال لي بأنه لم يعثر مطلقا على نص اثري واحد. رسمت فيه كلمة ليبيا بحرف "Y " من بعد اللام.

القديم): "لوبيم " بالإضافة إلى أن هذه اللغات الحديثة لا تعطى حرف "Y" هذا صوت الواو أبدا في نطقها له وإنما هو في جميعها "ياء" وحسب.

تبقى بعد هذا فقط الكتابات العربية القديمة والتي أوردته على انه لوبية. وهذه أيضا لا يمكن الركون إليها في التمسك بالواو لأنها أصلا تسمية سابقة لاتصال العرب بالإقليم، ولاحتمال الخطأ فيها عند التعريب كما أخطأت هذه المصادر العربية في تعريبها لاسم انطابلس بدلا من بنتا بوليس على سبيل المثال ولاحتمال تعريبها عن "لوبيم " من التوراة، هذا بالإضافة إلى ان الكلمة أقدم أصلا من زمن كتابة أي مصدر عربي ذكرت فيه بالواو، ولهذا تبقى المسألة معلقة تنتظر الحل الذي لا يمكننا ان نصل إليه من هذا الطريق، طريق رسم الكلمة في أية لغة من اللغات.

الفصل الثالث

نظريات في الأصل اللغوي للاسم

تعدد النظريات حول اصل الكلمة:

كان من الطبيعي ان يصاحب بعث اسم قديم اندثر، ضجة وجدالا بين الكتاب المحققين والمؤرخين، والايتمولوجيين، وان تتعدد النظريات مع تعدد اللغات القديمة التي ورد الاسم فيها، وان تتشعب الآراء حول اصل هذه الكلمة وغاية كل منها محاولة تحديد مصدرها اللغوي الذي جاءت منه، وبالطبع فان الدراسات التي من هذا النوع أنما تعتمد أصلا على التشابه اللفظي في اللغة التي يراد إرجاعها إليه من حيث بنية الكلمة ومن حيث مدلولها ومعناها ومن حيث اشتقاقها وما إلى ذلك، وهي دراسات ترتكز على فروض نظرية تدعمها شبهات تاريخية من صلات واقعة أو محتملة.

وليبيا اسم قديم، وقد ورد في عدة لغات، فمن الطبيعي لذلك ان يعاد إلى اصل بذاته في هذه اللغة أو تلك من التي ورد فيها، وعرف من نصوصها القديمة، وكانت النظريات التي قدمت من بعض الباحثين لإرجاع هذه الكلمة في أصلها إلى لغة بذاتها من بين اللغات التي عرفت شعوبها هذه الكلمة هي:

أولا: نظرية إرجاعها إلى ليبو في المصرية القديمة

ثانيا: نظرية إرجاعها إلى كلمة ليبيا LEBIA الفينيقية.

ثالثا: نظرية إرجاعها إلى كلمة ليبس LIBS في اليونانية.

رابعا: نظرية إرجاعها إلى تركيب " لب " و " يم " في العبرية

خامسا: نظرية إرجاعها إلى كلمة " اللوبة " في العربية

سادسا: نظرية إرجاعها أو على الأصح ربطها باسم قبيلة لواتة البربرية.

في هذا الفصل من البحث سنقدم هذه النظريات ملخصة، ثم نقوم بدراسة كل نظرية من هذه في ذاتها ثم نقارن بينها وبين غيرها من بقية النظريات الأخرى.

نظرية الأصل المصري:

وأولى هذه النظريات تعتمد على ورود أسم قبيلة اللوبو أو الليبو في النقوش الهيروغليفية المصرية. ويرى القائل بها ان الإغريق الذين استوطنوا البلاد وانشاوا مستعمرة قورنية قد احتكوا بأهل قبيلة الليبو وعرفوهم قبل غيرهم فأطلقوا اسمهم على الأرض في لغتهم مع التحوير فيه ليتلاءم مع الجرس اليوناني، فأصبحت ليبيا وأصبح أهلها هم الليبيون، ويكمل أصحاب هذا القول نظريتهم هذه بان اسم القبيلة امتد فيما بعد حتى شمل الإقليم كله، وحتى شمل القارة الأفريقية (ما عرف منها على الأقل).[1]

نظرية الأصل الفينيقي:

وكان الفينيقيون من الشعوب التي احتكت بأهل هذه البلاد وكانت لهم بهم صلات تاريخية متينة ومديدة ولعدة قرون، أدت في النهاية إلى انصهار الحضارتين

[1] _ محمد المرابط: _ مقاله السابق في الإيطالية SULL'ETIMEOLOGIA STORICA DI LIBIA ص 110 من مجلة LIBYA السنة الأولى، العدد 1 (يناير – مارس 1953 – طرابلس). O. BATES:- OP. CIT. P. 46

والشعبين في الحضارة البونيقية وفي الشعب الذي عرف بالليبو فينيق LIBOPHOENICIAN أما سكان الامبوريا ونوميديا معا.

واستنادا إلى هذا الواقع التاريخي فقد رأى البعض الذي اعتنق نظريه إرجاع ليبيا إلى الفينيقية ان هذا الاسم يرجع في أصله إلى كلمة LEBIA الدالة في اللغة الفينيقية على اللبؤة. وقال من نادى بها ان هذه التسمية قد تعني الإشارة إلى ان ليبيا هي " بلد الاساد – LEONORUM ARIDA NUTRIX ".[2]

نظرية الأصل اليوناني:

واليونان كالفينيقيين وكالمصريين من الشعوب التي احتكت بليبيا واتصلت بأهلها خلال مرحلة طويلة من التاريخ فأثرت في الليبية لغة وحضارة وتأثرت بأهلها وتركت تراثها يغطي التاريخ الليبي والأرض الليبية، ومن طريق لغة اليونان وصلتنا كلمة ليبيا هذه.

واستنادا إلى هذا الواقع التاريخي يرى البعض أنها قد تكون مشتقه من كلمة ليبس LIBS اليونانية التي تدل على ريح الجنوب الغربي. وقد تدل على ريح القبلي ويرى القائل بهذه النظرية ان هذه التسمية قد تعني _ مع مراعاة موقع ليبيا من بلاد اليونان _ في اللغة اليونانية القديمة أنها بلد الجنوب أو إنها البلد التي تهب منها رياح ليبس هذه[3] ويرى البعض الأخر ان ليبيا تعني في اليونانية (وربما

[2] _F. MINUTELLI:- LA TRIPOLITANIA; DOT VITT. CRAIDA:- OP. CIT; M. MURABET:- OP. CIT؛ وقد نقل هذا الأخير عن الأخوين بيشي في PROCEEDINGS OF EXPEDITION TO THE NORTHERN COAST OF AFRICA

[3] _ F. MINUTELLI:- OP. CIT.; V. BRAIDA:- OP. CIT

ميثولوجيا) المطر،[4] والأمطار الهاطله على بلاد اليونان في الخريف إنما تأتي من جهة ليبيا.[5]

نظرية الأصل العبري:

ولقد كانت لليهود في تاريخ ليبيا علاقة ولكنها متأخرة جدا إذ لا ترجع إلى أقدم من العهد البطلمي، ولهذا فان علاقة اليهود بالليبيين لا يمكن ان تعتبر سندا لأصحاب النظرية القائلة بأصل الكلمة العبري، وان كان من الجائز جدا معرفة هذا الجنس لليبيا من طريق مصر أو من طريق الفينيقيين قبل هذا التاريخ بزمن مديد.

وترى هذه النظرية ان كلمة " لوبيم " العبرية ليست في أصلها غير مركب كلمتين هما " لب " و" يم " ومعنى الأولى "قلب " والثانية "يم " أو "بحر "، ولهذا فقد يكون المعنى المقصود بذلك أنها بلاد ما وراء البحر.[6] ومن يرى من هؤلاء قصرها على المفهوم الاتنولوجي يفسرها على أنهم شعب ما وراء البحر.[7]

[4] _ ROBERT GRAVES:- THE GREEK MITHS, 56/2

[5] _ ROBERT GRAVES:- OP. CIT. 56/2

[6] _ وأصحاب هذه النظرية قد لا يعنون بالبحر، البحر المتوسط أو البحر الأحمر، أو المحيط فقد كان المصريون القدماء يسمون النيل بالمحيط فيما يرويه هيرودوت وديودور الصقلي في تاريخهما. وليبيا تقع بالفعل خلف هذا النهر سواء بالنسبة لمن في مصر أو لمن يكون شرقها كذلك.

[7] _ وهذه نظرية سمعت عنها من مثقف قال انه قرأها في معجم لمفردات الكتاب المقدس بالإنجليزية، ولم أقف عليها من مصدر مكتوب.

نظرية الأصل العربي:

أما العرب فلم يكن لهم اتصال بليبيا وبالليبيين ألا بعد الفتح وانتشار الإسلام، ولهذا فلا سند تاريخي لأصحاب القول بأصلها العربي، وبالرغم من هذا فقد وجد من قال بإرجاع لوبية إلى اللوبة في اللغة العربية.[8] واللاية واللوبة هي الأرض الحرة السوداء الحجارة، ومنها لأب الرجل أو الجمل، لوب إذا ظمأ وعطش.[9] وهذه كلها معاني تعطي ما يفيد معنى الجفاف، فربما كان المقصود بكلمة ليبيا أو لوبية إنها الأرض الجافة.[10]

نظرية الأصل البربري:

وسادس هذه النظريات وأخرها فيما وقفنا عليه من المصادر المختلفة هي ان كلمة ليبيا بربرية في أصلها القديم، وقد اشتق منها اسم قبائل البربر الشرقيين لواتة. ويرى القائلون بهذه النظرية أنها كلمة تطورت في نطقها من LEBU إلى LIBYA إلى LEBATA إلى LEVATA إلى LVATA إلى LWATA[11] وهذه النظرية _كما سنرى فيما بعد _ ترتبط على شكل ما بالأولى من هذه النظريات.

[8] _ محمد المرابط: _ مقاله السابق، نقلا عن الأخوين بيشي(راجع هامش 2 من هذا الفصل).

[9] _ معاجم اللغة العربية.

[10] _ محمد المرابط: مقاله السابق، اوريك بيتس: كتابه السابق.

[11] _ محمد المرابط: مقاله السابق، نقلا عن سرجي SERGI في كتابه: ANTROPOLOGIA DELLA STIRPE CAMITICA اوريك بيتس: المصدر السابق.

هذه النظريات:

وقد رأينا في الفصل السابق لهذا ورود الاسم في اللغات: المصرية، والفينيقية، والعبرية، واليونانية، واللاتينية، والعربية. كما انه من الثابت تاريخا وجود بطن بربرية باسم لواته كانت تسكن برقة وشرقي طرابلس حتى عصر متأخر من العهد الإسلامي مما يجعل لجميع هذه النظريات المقدمة سندا لغويا وركيزة تاريخية تقوم عليها _ كما سبق القول _، غير إننا من جهة أخرى لا يمكننا التسليم بصحتها جميعا لان الأصل اللغوي الأول لها لا بد وان يكون واحدا أخذت عنه اللغات الأخرى، ولا يجدر بنا كذلك ان نستبعدها جملة فان الأمانة العلمية التي فرضت علينا إيرادها توجب علينا بالتالي دراسة كل منها دراسة دقيقة لإبداء الرأي فيها بما يتفق ومدى مسايرتها لواقع المنطق التاريخي السليم. وهذا ما سنحاوله فيما تبقى من هذا الفصل.

دراسة الأصل البربري:

ولنبدأ في الدراسة بالنظرية الأخيرة القائلة بأصلها البربري " لواته " لأنها مرتبطة إلى حد كبير بالنظرية الأولى القائلة بأنها من "ليبو" فكلتاهما تعيدانها إلى اصل الشعب الليبي الذي يسكن البلاد ذاتها وان كانت هذه تعيدها إلى قبائل بربرية عرفت في عهد متأخر وتلك تعيدها إلى قبائل أقدم عهدا من اليونان.

يبدو لأول وهلة ان الصلة بين لوبيا أو ليبيا ولواته بعيدة، ولك إذا لاحظنا ان الأسماء في تطورها الزمني قد تتحول عن الأصل الأول نتيجة تحريف في النطق و

نتيجة تداخل اللغات، وقدرة بعض الشعوب على نطق حرف معين من مخرج معين لا قدرة لشعوب أخرى على تأديته ألا مع شيء من التحول به عن مخارجه الأصلية. وقلنا بان حرف V في اللغات الأوروبية لا وجود له في الأبجدية العربية، وان العربي إذا نطقه انحرف بمخارجه الصوتية أما إلى "الفاء " كما في نوفمبر NOVEMBER أو إلى الواو كما في جنوا GENOVA أو إلى " الباء" كما في "بيا " مقابل VIA وهذه تعني في الإيطالية اذهب أو انصرف والنطق "بيا"، لفظ شعبي فحسب، أو كما في جوزيف في الإنجليزية وجوسيبي في الإيطالية أو في ليفر في الفرنسية وليبرو في الإيطالية، والمثالان الأخيران في غير العربية وبين لغات يكون حرف "V" وحرف "F" وحرف "P " وحرف " B " بعض حروفها الهجائية الأصلية.

إذا لاحظنا هذا وقلنا ان من الجائز ان نطق العربي لاسم لواته، ليس غير تحريف أو على الأصح تحول بمخرج الحرف " V " في LUVATA مثلا إلى ما يناسب مخرج الصوت من اللسان العربي كان القول بان اسم لواته العربي في أصله هو LUVATA وليس لواته جائز افتراضا على الأقل. غير ان هذا القول في ذاته وبذاته ليس بالذي يركن إليه ما لم يدعمه دليل من نص تاريخي مدون لاسم هذه القبيلة عند مؤرخ غير عربي، وسابق لعهد الفتح العربي في ذات الوقت.[12]

ولعل اقرب مؤرخ من هذه الفترة وسابق لها هو المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس PROCOPIUS، وقد تناول هذا في كتاباته التاريخية أخبار ليبيا والليبيين في عهد

[12] _ وذلك على اعتبار ان العرب قبل الفتح ليسوا بالقادرين على التأثير في سكان شمال إفريقيا وفي لغتهم إلى هذا الحد.

جستنيان فذكر هذه القبيلة البربرية باسم LEUATHAE وحدد موطنها في المنطقة المحيطة بلبدة أو لبتس.

وقد أورد اوريك بيتس في صفحة 67 من كتابه « الليبيون الشرقيون » (في الإنجليزية) خلاصة الرأي في تطور "لواته" من "ليبو".[13] وإذا نحن قبلنا بما انتهى إليه اوريك بيتس، فان هذه النظرية تتحد مع النظرية الأولى القائلة باشتقاقها عن " الليبو "، ويمكن اعتبارها متممة لها من حيث تطور الاسم من L'BW إلى لواته، واتحاد النظريتين الأولى والأخيرة يجعل منهما واحدة، ويدفع بنا بالتالي إلى دراسة الأولى للحكم على الأخيرة.

دراسة الأصل المصري:

نظرية اشتقاقها من "ليبو" هذه وهي أول النظريات تاريخيا فيما يبدو لنا ترجع الأصل إلى اسم قبيلة كانت تسكن شمال الإقليم الواقع غربي المملكة المصرية الفرعونية فيما وراء قبيلة أخرى عرفت باسم "تحنو TEHENU " وفي المنطقة الواقعة غربي ميناء بلينوس PLINIUS الواقع بالقرب من كاتا باثموس[14] وهذا يعني أنهم أهل برقة. وإذا كان الاسم لم يرد في الهيروغليفية للدلالة على الإقليم كتعبير جغرافي فليس معنى هذا انه لم يستخدم بهذا المعنى فيها بنسبة الأرض إلى

[13] _ راجع ما أورده هذا المؤرخ في صفحة 67 من كتابه المشار إليه في هامش (1) من هذا الفصل. وفيه مقارنة فيلولوجية طريفة مع الإحالة على المصادر الأولى.

[14] _ CATAPATHMOS وهي كلمة تعني في اليونانية القديمة العقبة أو المنحدر، وقد حددت من الجغرافيين المحدثين بأنها عقبة السلوم، وحدد ميناء بلينيوس بالتالي بأنه ميناء البردي.

ساكنيها كـ: " ارض الليبو » مثلا، على ان الذين قدموا هذه النظرية لم يقطعوا بان اصل الكلمة مصري صميم إلا لوروده في النقوش الهيروغليفية المصرية، ولكن القول بورود النص لأول مرة في تلك النقوش لا يعني مصرية أصله بالضرورة فقد يكون المصريون استقوه من الليبيين أنفسهم أي أنهم أطلقوا على تلك القبيلة أو القبائل نفس الاسم الذي كان أفرادها يسمون به أنفسهم، وان كان من الجائز كذلك ان المصريين قد أطلقوه من عندهم على تلك القبيلة أو القبائل كما فعل اليونان بالنسبة إلى البربر الذين يسمون أنفسهم بالأمازيغ، وكما فعل الرومان بالنسبة إلى الإغريق الذين كانوا يعرفون أنفسهم باسم اليونان IANANS وكما فعلوا مع الكنعانيين الذين كانوا يسمونهم بالفينيقيين.

ولما كان سكان هذه المنطقة هم أنفسهم الذين اتصل بهم اليونان أول مرة فيما ترويه أسطورة النزوح اليونانية.[15] فليس من المستبعد (إذا كان لهذه الأسطورة سند من واقع تاريخي) ان يكون اليونان قد سموا ما اتصلوا به من شمال إفريقيا (ليبيا) نسبة إلى أبناء تلك القبيلة التي عرفها المصريون باسم ليبو، وربما كانت هي ذاتها

[15] __ والأسطورة الإفريقية التي تروي نزوح إغريق جزيرة ثيرا وتأسيسهم مدينة قورينة تجعل أول ارض ليبية وطاو عليها بأقدامهم هي جزيرة بلاتيا PLATEA (إحدى جزر خليج بمبة) ثم تنتقل بهم إلى مكان اسمه ازيريس يقع على الشاطئ المقابل من اليابسة (بين عين الغزالة ودرنة) قبل ان ينتقلوا إلى قورينة وغيرها مما يقع غربها، راجع حول هذه الأسطورة كتاب: محمد مصطفى بازامة:– قورينة وبرقة نشأة المدينتين في التاريخ. مكتبة قورينة 1973م.

ترف نفسها بهذا الاسم. وبهذا المعنى تكون النظرية مقبولة منطقيا وتاريخيا على أنها تسمية مصرية أو وطنية في أصلها.[16] وإغريقية أو غير ذلك في انتشارها.

دراسة الأصل اليوناني:

بعد هذا ننتقل إلى دراسة النظرية الثالثة القائلة بأصلها اليوناني، وبأنها مشتقه من كلمة ليبس LIBS أو باعتبارها المطر، مع ان ما انتهينا إليه من دراستنا للنظرية السابقة ينفي سواه، إذ لا يمكن ان يكون الأصل يونانيا وهناك أناس يعرفون بذات الاسم قبل ان يكون لليونان صلة بهم. ويكون اصل هذا الاسم مع ذلك يونانيا، ألا ان الذين قدموها وتعرضوا لها كانوا يعرفون بالنظرية السابقة ولكنهم، فيما يبدو، لم يقبلوا بها مما يدفع بنا إلى دراسة هذه لاتخاذ موقف منها ولو بإبداء الرأي حولها.

ان المشهور هو ان صلة اليونان بليبيا وبالليبيين تعود فقط إلى النصف الأخير من القرن، السابع قبل الميلاد، غير إننا من دراسة خاصة لنا نشرت مستقلة،[17] انتهينا إلى عهد يسبق هذا التاريخ بزمن مديد، فالمفروض ان بعض اليونان على الأقل كانوا من بين أقوام البحر الذين غزوا مصر متحالفين مع الليبو في عهد "مرنتباح " نفسه أي ان صلة الشعبين تعود إلى نفس الفترة التي يطالعنا فيها اسم " الليبو " على نقوش الكرنك، بل ان أخبار هؤلاء الطارئين على البلاد من وراء البحر قد وردت

[16] __ يصعب على الباحث ان يذهب إلى ما وراء هذا حتى تكشف بحوث اركيولوجية ليبية عن التسمية الحقيقية لليبيين في تلك الفترة المبكرة من التاريخ الإنساني وهذا في الظروف الحاضرة في حكم المستحيل لعدم وجود إي نص ليبي مدون حتى الآن.

[17] __ راجع محمد مصطفى بازامة: المصدر السابق (هامش 15).

لأول مرة في ذات نصوص الكرنك التي سبقت الإشارة إليها في الفصل السابق. وما دامت المسالة كذلك، فان احتمال إشتتاق اسم ليبيا من لينس جائز أيضا من وجهة النظر الزمنية على الأقل. غير ان الاعتراض الذي لنا على هذه النظرية هو كون التسمية عن الأصل اليوناني للشعب الليبي، وقبل ان تكون لليونان سيطرة ونفوذ على البلاد وأهلها أمر يحتاج التسليم به إلى أكثر من مجرد التشابه اللفظي بين كلمة ليبس LIBS وكلمة ليبيا LIBYA، ومن العلاقة بين الجهة التي تهب منها رياح الخريف وأمطاره وموقع ليبيا من بلاد اليونان. ولعل الجائز افتراضا ان يكون العكس، أي ان تكون كلمة ليبس في أصلها البعيد هي الليبية بمعنى اشتقاقها من ليبيا أي ان اليونان سموا تلك الرياح التي تهب من جهة ليبيا باسم ليبس تماما كما يقول اليوم أهل واحة جالو عن الرياح الشمالية الغربية بأنها (غربي اوجلي) نسبة إلى موقع أوجلة من جالو تلك، وكما يقول أهل مدينة بنغازي عن البارقة التي تلمع من جهة الغرب بأنها (برق الزويتين) نسبة إلى موقع الزوتينية من بنغازي، وليس معنى هذا بالطبع ان لا يكون لهذه الرياح اسم أخر في اليونانية القديمة ولكن يعني فقط غلبة هذا الاسم على الأخر السابق له ان وجد،[18] وهذا الاحتمال الثاني هو الأرجح في نظري، والتسليم به يبقى على قوة احتمال اشتقاقها من " ليبو" الذي سبقت دراسته في الفقرة السابقة.

[18] __ ومن كلمة ليبس اليونانية استمدت اللغة الإيطالية اسم هذه الرياح فيها فهي LIBECIO فيما تذكره لنا بعض القواميس والمعاجم الإيطالية.

دراسة الأصل الفينيقي:

ما عن الفينيقية كأصل لهذه الكلمة فقد اعتمدوا فيها على: أولا: التشابه اللفظي بين ليبيا LEBIA وليبيا LIBYA، وثانيا: كون ليبيا بلد تكثر فيها الوحوش والأساد (قديما).

والتشابه اللفظي القائم بين الكلمتين هو من التوافق بحيث لا يفصل القارئ بينهما إلا بالقرينة.[19] وكون ليبيا بلد كانت تزخر في ماضيها البعيد بالحيوانات المتوحشة التي ألفت الحياة في بيئات استوائية حقيقة دلت عليها النصوص القديمة[20] ودلت عليها كذلك عشرات المئات مند النقوش والرسومات البدائية لسكان ليبيا في عصور ما قبل التاريخ،[21] ومن الجائز جدا ان يكون الفينيقيون قد عرفوا ليبيا وحيواناتها قبل ان يؤسسوا مدينتهم قرطاجنة بزمن بعيد، ولكن، ومع ذلك وبالرغم منه فان تاريخ معرفتهم للإقليم لا يمكن ان يكون سابقا لتاريخ النقوش المصرية، يضاف إلى هذا كونهم قد عرفوا البلاد باسم قبيلة أخرى غير هذه مما ينفى النظرية من أصلها، والراجح أن النقوش البونيقية الحديثة، لا ترجع إلى ابعد من القرن الثاني قبل الميلاد، وهو تاريخ كان فيه اسم ليبيا شائعا ومنذ زمن بعيد بين الإغريق للدلالة على جميع القارة الإفريقية، وعلى سكان الشمال الإفريقي مما ينفى القول بالأصل

[19] __ وذلك لان الفينيقية تقتصر في الكتابة على الأحرف دون الحركات كما هي الحال في العربية.

[20] __ هيرودوت: تاريخه، الرابع، 191.

[21] __ وذلك في عدد من الأماكن من جنوب الإقليم وخاصة وادي قرزة وجبال اكاكوس الواقعة عند ملتقى الحدود بين الجزائر وليبيا وجمهورية النيجر (راجع محمد مصطفى بازامة: ليبيا في عصور ما قبل التاريخ. الجامعة الليبية، كلية الآداب، بنغازي، 1973).

الفينيقي له. غير أنه ليس من المستبعد أبدا _ بل ومن المحتمل جدا _ ان يكون الاسم في الفينيقية ذاتها أقدم عهدا من البوفيقية الحديثة، ولكن حتى ولو إننا قلنا بهذا فان الأصل في الهيروغليفية متقدم تاريخيا على أي عهد نحتمله للأصل الفينيقي، والذي لا يعقل أن يرجع به إلى ابعد من بدء ظهور هذا الشعب في تاريخ الشمال الإفريقي.

ولكن من جهة أخرى فان في الميثولوجيا اليونانية ارتباط وثيق بين ليبيا والسباع، فقورينه العذراء رسمت وهي تفتك بأسد بينما رسمت ليبيا وهي تتوجها[22] وباطوس يشفى من عيه بسبب زئير الأسد[23] ومثل هذه القضايا تثير التساؤل هل من علاقة بين النظرية الفينيقية القائمة على الشبهة اللفظية بين التسميتين، وبين الواقع الميتولوجي الذي كان يسود البلاد اعتقادا وعبادة؟.. هذا جائز غير ان القول به يقتضي دراسة موضوعية ليس هذا مكانها المناسب من البحث، ولهذا نكتفي هنا بهذا التلميح إليه.

وحتى إذا نحن سلمنا باحتمال نشأة اسم ليبيا في اللغتين المصرية والفينيقية لنخلص منه إلى نتيجة ان هذا لو صح فانه برهان على ان الفينيقية ليست أصلا أولا للتسمية ليبيا ذلك أن المعتقدات الوثنية التي اشرنا إليها ليبية وليست فينيقية فان

---

[22] _ عثر على هذا اللوح المنقوش الإنجليزيان بورشر وسميث، وقد قاما ببعثتهما إلى الجبل الأخضر من برقة فيما بين سنتي 1860و 1861 وكانت ذات طابع اركيولوجي وسرقا خلالها مجموعة هامة من تراث ليبيا الأثري، ونشرا عن رحلتهما كتابا باسم HISTORY OF THE RECENT DISCOVERIES AT CYRENE, ECC ...

[23] _ بنداروس الشاعر اليوناني في الفيثيات. جوستين في روايته (راجع: محمد مصطفى بازامة: قورينة وبرقة نشأة المدينتين في التاريخ).

كانت ليبيا بلاد الاساد (ميثولوجيا أو حقيقة) بأصلها الفينيقي فليس معنى هذا ان نربط بين ليبيا LEBIA وبين ليبيا LIBYA، ونقول بأصلها الفينيقي.

ولقد سبق وان قلنا بترجيح النظرية المصرية (الأولى) وهذا ينفي، القول باحتمال الأصل الفينيقي لها اللهم إلا إذا قلنا باحتمال نشأة التسمية في اللغتين عن اصلين مختلفين.

وحتى إذا نحن سلمنا باحتمال نشأة اسم ليبيا في اللغتين المصرية والفينيقية عن اصلين مختلفين (المصرية عن ليبو، والفينيقية عن ليبيا _ اللبؤة) فان اتفاقهما على اسم ليبيا تركيبا وصوتا سيكون أمرا متعذر الاحتمال مما يحمل بالتالي على القول باشتراكهما معا في استقائهما له عن مصدر ثالث غيرهما معا. وفي هذه الحالة لا بد وان يكون هذا المصدر الثالث هو اللغة الليبية التي يتخاطب بها الليبيون أنفسهم ومع الشعبين.

وإذا قيل بان هذه التسمية قد كانت معروفة من قبل الشعب الفينيقي في الشرق وقبل استقرار جماعات منه بغرب أوربا والشمال الإفريقي، فمن المحتمل ان تكون هذه المعرفة بالاسم قد تمت أما عن طريق اللغة المصرية مباشرة، وأبان سيطرة الفراعنة الأولى على ارض كنعان، وأما عن العبرية التي قد تكون بدورها أصلا له، وقد تكون هي الأخرى قد تلقته عن المصرية، وإما ان يكونوا قد تلقوه عن الليبيين مباشرة من طريق بحارة هذه الأمة أثناء تجوالهم بأقاليم البحر المتوسط. وهكذا نصل إلى ان الفينيقية كلفة لا يمكن ان تكون أصلا أولا لاسم ليبيا هذا مع مراعاة ما يعرف عن صلات للشعب الفينيقي بالليبيين في التاريخ.

دراسة النص العبري:

ان القول بالأصل الأول لكلمة ليبيا في العبرية من " لب " ومن " يم" لا يقوم على أساس من سند علمي أو فيلولوجي، ذلك ان الميم في " يم" من (لوبيم) ليست سوى علامة الجمع في العبرية. وباستبعادها من اصل الكلمة لا يبقى ما يدل على البحر مما يقوض النظرية من أساسها.

واستقاء العبرية لهذا الاسم المصرية أمر يوحى به اقتران اسم "اللوبيم" في الكتاب المقدس أبدا بشعوب مصر وكوش "الاثيوب" أينما ذكر، ويؤكده سكنى اليهود لأرض مصر قبل عهد الديانة الاسرائلية على عهد موسى (عليه السلام) وتأخر نص التوراة المدون زمنا عن تاريخ النصوص الهيروغليفية المصرية التي أرجعت إلى الألف الثانية قبل الميلاد.

ان فكرة إرجاع اسم ليبيا إلى الأصل العبري، لا سند لها غير تشبث الكنيسة بإعادة كل شيء إلى نصوص الكتاب المقدس في عهده القديم، وهي نظرية لا تقوم على أساس بل من الواضح أنها نفس التسمية الواردة في نقوش الكرنك التي سبقت الإشارة إليها مضافة إليها ميم الجمع (لوبي-م).

دراسة الأصل العربي:

أما النص العربي فيكفى لاستبعاد النظرية القائلة به أصلا، كون العرب لم يعرفوا ليبيا ألا في وقت متأخر جدا، وحينما جاءوها فاتحين، كان الاسم معروفا ومتداولا قبل ذلك بأكثر من ألفي سنة من التاريخ. إلى جانب ان هذه النظرية لم يقل بها احد

من المؤرخين العرب القدماء. أما كون اللابة أو اللوبة في العربية اسم للأرض الحرة المعطشة فليس بذاته وفي ذاته دليلا كافيا لإرجاع الكلمة إلى الأصل العربي، خاصة وأن اللغة التي يتحدث بها أهل هذه المناطق من السكان قبل الفتح ليست هي العربية بالتأكيد، ولا علم لنا ما إذا كان قد خطر ببال احد من المؤرخين العرب ان يربط بين لوبية كإقليم واللابة أو اللوبة كلفظ في اللغة العربية باعتبار ان ليبيا ارض حرة معطشة، ولعل ذلك لان قواعد الاشتقاق في العربية لا تساعد على افتراض هذا الاحتمال.

ودخول هذه التسمية إلى اللغة العربية للدلالة على إقليم بذاته من طريق الترجمة أمر تكاد تفصح عنه الطريقة شبه الموحدة في جل الكتب التاريخية التي تعرضت للتسمية بالذكر. فهي تربطه بقصة طالوت وجالوت وانتقال البربر من ارض فلسطين وسكناهم شمال إفريقيا مما يدل على (أو يكاد يدل على) ان الترجمة التي دخلت الكلمة من طريقها إلى كتب التاريخ هي العبرية، وان كانت هناك رواية أخرى واضحة بنصها على دخول الكلمة من طريق اليونانية مباشرة[24] بمفهوم الاسم الجغرافي المرادف لاسم إفريقيا الحالي.

[24] _ راجع في هذا رواية البيروني في معجم البلدان لياقوت الحموي عند الكلام عن لوبية، وعند الدكتور شعيرة في مقاله السابق، وفي الرواية الأخرى راجع على سبيل المثال ابن الأثير في الكامل في التاريخ عند الحديث عن فتح برقة.

والخلاصة:

والخلاصة التي نخرج بها من دراستنا هذه، لجميع النظريات التي قدمت من الباحثين، حول الأصل الأول هي انه لا يمكن ان يكون فينيقيا، ولا عبريا ولا يونانيا، ولا عربيا، وانه أما ان يكون مصريا، وأما ان يكون وطنيا جاء عن لغة القوم ذاتهم، ودخل اللغات الأخرى القديمة التي ورد فيها من طريق المصرية القديمة. ونتيجة للاتصال الذي كان لهذه الشعوب بالليبيين ولاحتكاكهم بهم.

وبالرغم من صعوبة القول بوطنية أو بمصرية الأصل الأول لهذه الكلمة فان اشتراك عدد من اللغات في هذا الاسم، يجعلنا نميل أكثر إلى القول بليبية أصله فلو كان مصري الأصل لكان لليبيا اسما غيره وكانت لهذا الاسم غلبة على الأخر المصري لدى الشعوب التي اتصلت بالليبيين أكثر من اتصال المصريين بهم.

وسواء أكان لرأينا هذا قوة الترجيح أو لم تكن، فان من الثابت قدم هذا الاسم وعراقته في التاريخ بما هو أقدم من الصلة المؤكدة لليبيين بالفينيقيين والإغريق والرومان وبالتالي فلا صلة له بالاستعمار الفينيقي أو الإغريقي أو الروماني ولذلك فلا داعي للنفور منه حتى وان اقترن بعث هذا الاسم بصلة الليبيين بالاستعمار الإيطالي. فقد انتهى أمر الاستعمار بالاستقلال ونشأة الدولة الليبية وبقى الاسم لأنه جزء من تاريخ هذه البلاد، وأقدم عهدا من ان استعمار تعرضت له ليبيا في التاريخ.